

النكاح في الشرع عهد وميثاق – خطبة لسماحة المفتي عبد العزيز آل الشيخ

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 1430-6-28

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، خلق الله البشر ذكورهم وإناثهم ليتم التزاوج بينهم، ويستمر النسل البشري على وجه البسيطة، وليتم التعارف بينهم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

أيها المسلم، والنكاح الشرعي بأحكامه وآدابه به يتحقق الاتصال المشروع من التزاوج، و إرواء الغريزة، وتحصين الفرج، في الحديث: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة؛ فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع؛ فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء"، وللنكاح الشرعي مقاصد سامية، وأغراض نبيلة؛ فبه يحصل تكوين الأسرة المبينة على الوئام والتآلف والمحبة: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)، والنكاح في الشرع عهد وميثاق، النكاح في الشرع عهد وميثاق، ليس الهدف منه مجرد قضاء الوطر، ولكن أسمى من ذلك، كون الرجل كون المرأة سكناً للرجل، ولذا قال جل وعلا: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)، وهذا العهد والميثاق يقصد به الاستمرار ما لم يفرق بينهما موت أو طلاق، ولكن للأسف الشديد أن البعض من أبناء المسلمين حرفوا هذه المعاني السامية، التي شرف الله بها المسلمون حرفوها عن حقيقتها؛ فترى بعضهم يعقد النكاح مع امرأة لا يريد الدوام معها، ولا كونها سكناً له، ولا كونها شريكة له في حياته، وإنما هدفه مجرد قضاء الوطر وهو في نفسه، بل من فلتات لسفه إنما قصد بهذا العقد أمور خصدة معينة وأغراضاً وأهدافاً يفارق بعدها المرأة من غير أمر شرعي، ولا مقصود وجيه.

أيها المسلم، ويكثر هذا الخطأ والمنكر في أيام الإجازة عندما يذهب كثيراً من أبنائنا شباباً أو كهولاً إلى بعض الدول الإسلامية؛ فهناك يجرون عقود أنكحة سورية، أنكحة سورية، يجرونها مع بعض الفتيات الصغيرات، يطمعونهن بالمال، ويغرون أهلها بالمال، والعقد قائم ظاهره النكاح الشرعي، والله يعلم والزوج يعلم وأصحابه يعلمون أن هذا العقد سوريا فقط، وأنه جاء لأجل المتعة واللذة، ثم يفارقها بعد أسبوع أو أقل من ذلك.

أيها المسلم، إن هذا الخلق الدنيء الرديء لا يرضى به مسلم لأبنته ولا لأخته؛ فكيف يرضاهما لبنات المسلمين؟ إن بعض أولئك وقد ينتسبون إلى العلم، يقولون: أن قولاً من أقوال العلماء أباحوا النكاح بنية الطلاق، هب هذا القول قيل، ولكن القائلون له لو يعلمون حقيقة ما انحرف به الناس في هذا السبيل لأوشك أن لا يقولوه، قالوه في إنسان قد يكون نيته خفية، لكن قد يتغير الحال أما هؤلاء؛ فليس هدفهم إلا المتعة فقط، والنكاح صوري، والواقع خلاف ما يريدون، خلاف ط

يقصدون، يا أيها الأخوة إن هذا التصرف الخاطئ من أناس ضعف إيمانهم وقل خوفهم من الله، وتلاعبوا بفروج النساء من غير حياء ولا خجل؛ فواجبهم تقوى الله ومراقبة الله في كل الأحوال، إن الأصل في الفروج الحرمة إلا بمقتضى شرعي: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)، والنكاح المؤقت، والنكاح الذي عزم الزوج على أنه مؤقت، وقد يكون الوساطة بينهم كذلك يدري أنه مؤقت، وأن هذا لغرض شهواني فقط، هؤلاء آثمون، واقعون في الحرام من حيث لا يشعرون، إنه تلاعب بحرمان الله، وإنه تلاعب بشرع الله واحتيال على محرمات الله؛ فعلى المسلم أن يراقب الله في تصرفاته كلها، ولا تكن الشهوات قاهرة له، ومسيطرة على فكره ورأيه.

أيها المسلم، وإنما إذا تدبرنا هذا النوع من العقود رأينا له مفسد كثيرة؛ فمن مفسده أنه يمنع النكاح الحقيقي حيث ترهد النساء في النكاح؛ لأنهن يردن كل يوم مع زوج لاستغلال أموال أولئك، وأخذهم أموالهم لأجل استباحة الفروج؛ فهو يعطل النكاح الحقيقي، وأمر آخر أن هذا غش للمرأة وخداع لها وخيانة لها، يأخذها على أنها الزوجة المرضية، وسرعان ما يفارقها، قد يبقى معها أيام أو أسابيع، ثم يفارقها، وثالثا: إذا حصل ولد من هذا النكاح؛ فترى هذا الزوج لا يريد أولئك الأولاد، ويرفض نسبتهم إليه، إذا كنت تعتقد أنه نكاح؛ فلماذا التبرأ من هؤلاء الأولاد؟ وإن كنت تعده نكاحا سفاح؛ فأنت آثم بإنجابك أطفالا لا مأوى لهم، لا أبا يعرفونه، ولا أبا ينتسبون إليه، وهذا والعياذ بالله من الشناعة بمنزلة عظيمة.

أيها المسلم، وكفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول إن أولئك يقدمون على هذا الأمر، ثم يعللون قائلين ليس معنا إذن رسمي، ولا إذن بالزواج، ليس معنا إذن بالزواج والدخول مشروط بالزواج والفروق الاجتماعية موجودة، لماذا لم تقل هذا قبل أن تقدم على ما أقدمت عليه؟ وهذا الأتكة فيها اختلاط الأنساب وضياعها، وهذا العقد أيضا يعطل أولئك الذوات الذين نكح بهذا الأمر يعطلهن من النكاح المشروع، وهذا العقد أيضا يفتح باب الفساد لأولئك، إذا كان يأخذها زوج اليوم وزوج غدا؛ فهي لا تأنف من هذا الفعل؛ فتقع في الأمور المحرمة، وأنت السبب في ذلك، لقد شوها سمعة الإسلام والمسلمين، وأظهروا صورة أهل الإسلام أنهم شهوانيون، شهواتهم قاهرة عليهم؛ فزهذ الناس بالإسلام لأسباب أولئك التصرفات الخاطئة الناجمة.

أيها المسلم، وإن كثير من هؤلاء لا يسأل عن المرأة، لا عن دين ولا عن خلق؛ لأنه لا يريد لها زوجة، إنما ينظر إلى فقط مجرد ما يحقق له إغواء غريزته من غير نظرا في عواقب الأمور، وأمر آخر أيضا أن هذه العقود يقعون فيها في محرمات؛ فانه جل وعلا جعل الغاية في إباحة النساء أربعا: (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)، والعلماء يقولون: لو أن رجل جمع أربع نسوة، ثم طلق الرابعة فلا يأخذ أخرى حتى تنتهي عدة تلك، والذين يتزوجون بهذه العقود المزعومة ربما جمع الرجل منهم عشر امرأة في شهر واحد، يأخذ تلك ويطلق، ويأخذ ويطلق، وربما تبادلت الأدوار بينهم في قلة حياء، وانتزاع حياء، وضعف مروءة وإيمان؛ فليتنق المسلمون ربهم، ولترتفع نفوسهم عن هذه الدنيا، إن هذه الدنيا الخسيسة فتحت أبواب الأمراض الفتاكة في المجتمع المسلم؛ لأن كل أمر يأتي على خلاف الشرع؛ فعواقبه سيئة ونتائجه قبيحة نقلوا لنا الأمراض والأوبئة بأسباب من خالطوا بتلك النسوة، الذي تعاقب الرجال عليهم من غير خجل ولا حياء.

فيا أيها المسلم، ويا من ينتسب لعلم وهدى، اتقي الله وإياك أن تفتح لنفسك الرخص السيئة، التي توقع الناس فيها، ويقندي بك من يقندي بك وأنت على خلاف الحق؛ لأجل الشهوات القاهرة؛

فلنتق الله في أنفسنا ولنحترم عقود الأнкحة احترام شرعيا، لنكون على بصيرة من أمرنا، أسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه إنه على كل شيء قدير.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، اتقوا الله في أحوالكم كلها، وليكن تقوى الله حاجزا لكم عن المحارم، واقيا لكم من الوقوع بما حرم الله عليكم.

أيها المسلم، اتق الله في نفسك، واحترم عورات المسلمين تصان عرضك وكرامتك، وأنك إذا أفسدت بنات المسلمين؛ فحريا أن تعاقب في نفسك بأنواع البلاء والمصائب؛ فلنتق الله في أنفسنا.

أيتها المرأة المسلمة، يا من رفع الله قدرك وجعلك درة مصونة عالية الشأن عظيمة الرسالة في الحياة، يا من حماك الله من تسلط أولئك الذئاب، الذين لا يريدون سوى استرخاص كرامتك وعرضك ليقضوا وطهرهم فيك، ثم لا يباليون أين كنت، اتق الله واحرصي على العفة والعفاف وحفظ العرض، وتصوري حقيقة أولئك الأقوام، ولا تنقادي لكل من يوصل للشر، إنهم قد يغونك بالمال أولا، ثم بالأمانى الخادعة ثانيا؛ فإذا قضوا وطهرهم ذهب بين الرياح لا يباليون بك، ولا يحترمون كرامة، ولا عفة؛ لأن أولئك لم يأتوك رغبة، وإنما أتوا قضاء الوطر؛ فأبي من تقدم إليك؛ فاسألي عن حياته وتاريخ حياته، وماذا كان يعمل؟ حتى تكوني على بصيرة من أمرك واجعلي خطبة الآباء والأولياء، ولا تنقادي بأقوالهم المعسولة، وعودهم الكاذبة.

أيها المسلم، إن الحياء نعمة من الله والحياء شعبة من شعب الإيمان، لكن للأسف الشديد أن بعض أبناء المسلمين عندما يعود من هنا وهناك يحملون بأيديهم شرائط فديو، عما مارسوه من شهوات وفجور هنا وهناك، ويتبادلون هذه الأشرطة بينهم، أين الحياء والخوف من الله؟ العاصي إذا عصي؛ فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله فيما بينه وبينه، وأما أن تنتشر هذه الأخلاق والرذائل، وتبادل الصور والأفلام الخليعة، مما فعلوا ومارسوا من إجرام عظيم؛ فهذا حرام وانتكاس والعياذ بالله؛ فإن العاصي قد يعصي ويتوب لكن أولئك والعياذ بالله فوق معاصيهم، قلة الحياء، وقلة الخوف من الله كل أمتي معافي إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل عملا بالليل فيستره الله، ثم يصبح يفضح نفسه يقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا.

فاتق الله أيها المسلم، ولا تكن داعي للرذيلة ولا ناكرا لها ولا مسوقا لها إذا ابتليت فتنب إلى الله وتخلص من جرمك توبة بينك وبين الله، أما أن تنتشر هذه الأفلام، وتشيعها بين الناس؛ فتجمع بين قبيح فعلك، وانتزاع حياءك، ودعوتك إلى الرذيلة؛ فتلك المصيبة العظمى: (أَقْمَنَ زَيْنٌ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)، أسأل الله أن يحفظنا وإياكم للإسلام، وأن يحفظ عورات المسلمين، وأن يجعلنا وإياكم من اتقى الله بكل أحواله.

واعلموا -رحمكم الله-، أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ، شذ في النار.

وصلوا -رحمكم الله- على عبدالله ورسوله محمد كما أمركم بذلك ربكم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وارض اللهم عن خلفائه الراشدين الأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلق هذه الأمة، التي شرفها الله وفضلها على سائر الأمم: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)، (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)، (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سياج وأمان للأمة، يحمي الأعراض والأخلاق والدماء والأموال، ويحمي الناس على الخير، ويقودهم إلى الخير، هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمر مهم لهذه الأمة متى ما قامت به خير قيام؛ فعنوان سعادتها وعزها وكرامتها، وهذا البلد المبارك عندما يعبر مسئولوه عن اهتمامهم بهذا البلد العظيم وحرصهم عليه، وعنايتهم به، وأن هذا البلد قائم على هذا المنهج القويم، والطريق المستقيم، وأن من يعارض ذلك فإنه غير مقبول منه ممن سلخوا هذا الأمر العظيم، وشوهوا سمعت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحاولوا ينشروا بلبلة، ولكن وعي المسئول، وقوة إيمانه، وصدقه، دفع كل هذه الشبه والغوايات والضلالات وبين أن من خرج عن هذا المنهج القويم؛ فإنما دليل على ما يحمله من كراهة الإسلام وأهله، وهذا البلد لا يزال إن شاء بخير، وفي خير بتوفيق من الله؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلق عظيم لهذه الأمة، متى قامت به حق قيام عاشت في خير وأمان واطمئنان واستقرار، نسأل الله التوفيق للجميع.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين واجعل اللهم هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمرنا، اللهم وفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم وفق إمامنا إمام المسلمين عبدالله بن عبدالعزيز لكل خير، اللهم أمده بعونك وتوفيقك وتأيدك وكن له عوناً ونصيراً بكل ما أهمه، اللهم اجمع به كلمة الأمة ووحدهم به صفوفها على الخير والتقوى، اللهم شد أزره بولي عهده سلطان بن عبدالعزيز وبارك له في عمره وعمله، اللهم وفق النائب الثاني لكل خير وأعنه على مسؤوليته إنك على كل شيء قدير، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي يعظكم لعظم لتذكرون؛ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم،
ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.